الفصل الرابع عشر

الرسائل إلى الكنائس السبع

رؤيا ٢ ـ ٣

الأب أسعد جوهر

في رؤيا ابن الإنسان (١/ ٩ ـ ٢٠) يتوجّه المسيح إلى يوحنا قائلاً: «اكتب ما ترى في كتاب، وابعث به إلى الكنائس السبع، إلى أفسس، وإلَى ازمير، وإلى برغامس، وإلى طياطيرة، وإلى سرديس، وإلى فيلادلفية، وإلى اللاذقية» (١/ ١١). وتتبع الرؤيا رسالة خاصة موجّهة إلى كل من هذه الكنائس المحليّة في آسيا الصغرى في الفصلين ٢ ـ ٣. وهذا ما أطلق عليه الشُراح اسم: «الرسائل إلى الكنائس السبع».

الكنائس وهميّة أم محليّة؟

اعتبر البعض ان هذه الكنائس هي رمزيّة أو وهميّة لا تمت إلى الواقع بصلة لأسباب كثيرة أهمها:

ـ يدل العدد سبعة على الكمال والملء. فهو مجموع العددين: ٤ الرامز إلى الأرض و٣ الرامز إلى السماء. والمقصود في استعماله جميع الكنائس.

ـ تتبع الرسائل نموذجاً واحداً في هيكليّة البناء، وتستعمل تعابير مقولبة.

ـ الصمت، وعدم ذكر كنائس معروفة في منطقة آسيا الصغرى وفي ذات المحيط مثل طراوس وقولسي وهيرابليس (قول ١/ ٢؛ ٤/ ١٣؛ رسل ٢٠/ ٥)، والاكتفاء بالعدد ٧.

ولكن يوحنا في الواقع يتوجه إلى كنائس محليّة واقعيّة تتنازعها مشاكل داخلية وخارجية، ويعرفها معرفة جيدة. أما اختيار المدن فيمكن شرحه، كونها تقع كلها

على خط البريد الامبراطوري وتشكل طريقاً دائرياً هو مثال لجولة راعوية. وكونها كنائس مهدّدة أو تعاني أكثر من غيرها من خطر عبادة الامبراطور التي تتصدى لها الرسائل. والمدن المذكورة ما عدا طياطيرة تقدم شواهد وآثاراً على هذه العبادة. كما ان التلميحات إلى خصائص المدن يدل على ان يوحنا يتمتّع بمعرفة دقيقة لها:

- إكليل الحياة في ازمير (٢/ ١٠) يلمح إلى أسوار المدينة وألعابها.

- عرش الشيطان في برغامس (٢/ ١٣) يشير إلى تمثال جوبيتر الضخم وإلى الهيكل المشيّد إكراماً للأمبراطور.

- مجيء المسيح كلص في سرديس (٣/ ٣) يذكّر بأن المدينة أخذت على حين غفلة وفي الليل.

- الاسم الجديد في فيلادلفيا (٣/ ١٢) يدلّ على تغيير اسم المدينة أيام الامبراطور طيباريوس.

- انك لا بارد ولا حار، في اللاذقية (٣/ ١٥) يُلمح إلى المياه المعدنية الحارة في المدينة. كذلك الغنى (٣/ ١٧)، والأثواب البيض، وكحل العيون (٣/ ١٨)، يُلمّح إلى شهرة المدينة بمنتوجات الأدوية والأقمشة ويدلّ على غناها الاقتصادي.

إذن كتب يوحنا إلى كنائس محليّة محدّدة يعرفها تمام المعرفة، غنيّة بحياة مسيحيّة وتواجه تحدّيات وامتحانات. ولكنه أعطى رسائله المحليّة صفة الشموليّة وتوجّه بها إلى الكنيسة جمعاء من خلال العدد سبعة، والارشاد العام في نهاية كل رسالة: «من له أذنان فليسمع ما يقول الروح للكنائس» (٢/ ٧، ١١، ١٧، ٢٩؛ ٣/ ٦، ١٣، ٢٢).

علاقة الرسائل بكتاب الرؤيا

يجمع الشراح على ان الرسائل السبع تشكّل وحدة أدبية متماسكة. فهي تتميّز عن سائر الكتاب بهيكليّة واحدة لا نظير لها في الأدب الرؤيوي المعاصر لها. كما أنها تلتزم الصمت حول ما جاء في الكتاب من رؤى مثيرة، وحيوانات مخيفة، وقتال شرس، وكوارث كونيّة، ومجدلات وأناشيد. وتتفرّد بإعطائها الكلام للمسيح

في كل الرسالة، فهو يخاطب الكنائس على الطريقة النبوية داعياً إياها إلى التوبة والأمانة والمثابرة حتى تنال الخلاص. مما حدا بالبعض اعتبارها مستقلة ودخيلة.

وعلى الرغم من فرادتها فهي جزء لا يتجزأ من كتاب الرؤيا. فاللغة والاسلوب هي ذاتها في كل الكتاب. وترتبط الرسائل إلى الكنائس السبع (٢ ـ ٣)، من جهة بالفصل الأول بعبارة الكنائس في العنوان: «من يوحنا إلى الكنائس السبع في آسية» (١/ ٤)، وفي رؤيا ابن الإنسان، حيث يتوجّه المسيح إلى الكنائس السبع ويسمّيها (١/ ١١و ٢٠).

وتذكر الرسائل، ما عدا رسالة فيلادلفيا، أحد ألقاب المسيح كما وردت في رؤيا ابن الإنسان (١/ ٩ ـ ٢٠). وتردّد بعض العبارات كالمنارة (١/ ١٢ ـ ١٣، ٢٠؛ ٢/ ١، ٥) والسيف (١/ ١٦؛ ٢/ ١٦).

وترتبط من جهة ثانية، بما يتبعها، «بأورشليم الجديدة» في الفصلين (٢١ ـ ٢٢) حيث تذكر الرسائل في «وعدها للظافر» تعابير مشتركة لا يمكن إدراك معناها لولا الفصلين ٢١ و ٢٢، مما حدا بالمفسّرين إلى القول بأنها ألفَت قبل الرسائل إلى الكنائس السبع:

* شجرة الحياة (٢/ ٧؛ ٢٢/ ٢، ١٤).
* الخلاص من الموت الثاني (٢/ ١١؛ ٢١/ ٨).
* ظهور أورشليم جديدة (٣/ ١٢؛ ٢١/ ٢).
* اسم جديد (٢/ ١٧؛ ١٩/ ١٢).
* يذكر إرسال الملاك إلى الكنائس (٢٢/ ١٦).

هيكلية الرسائل

بنيت الرسائل حسب هيكلية واحدة مؤلفة من ستة عناصر: العنوان، وتعريف المسيح بنفسه، وحكم المسيح على الكنيسة، والارشاد الخاص، والارشاد العام، والوعد للظافر.

١ ـ **العنوان: «إلى ملاك الكنيسة... أكتب»** (٢/ ١، ٨، ١٢، ١٨؛ ٣/ ١، ٧، ١٤).

هذه العبارة ثابتة لا تتغيّر في كل الرسائل، يتبدّل فقط اسم الكنيسة: أفسس، ازمير... وهي تحدّد المرسل إليه، وهو ملاك الكنيسة المحليّة.

من هو يا ترى هذا الملاك؟ هل هو شفيع الكنيسة وحارسها، أم رئيسها الروحي والمسؤول عنها، أم هو رسول سماوي يمثّل الكنيسة شعباً ومسؤولاً، يعبّر الكاتب بواسطته ان الرسالة الموجّهة إلى الكنيسة هي نبوءة سماويّة من عند الله.

٢ ـ يعرّف المسيح عن نفسه: «هذا ما يقول...» (١/٢١، ٨، ١٢، ١٨؛ ٣/١، ٧، ١٤).

تتردّد هذه العبارة ذاتها في كل الرسائل بعد العنوان مباشرة. وهي نقل واضح للأقوال النبويّة في العهد القديم «هذا ما يقول الربّ» (عا ٥/٤؛ هو ٤/١...). بهذه العبارة يُعرّف المُرسل عن نفسه وهو أن يسوع هو الربّ. ثم تتبع الألقاب المختلفة وقد وردت في رؤيا ابن الإنسان (١/٩ ـ ٢٠)، وفي العنوان (١/٤ ـ ٨) في الفصل الأول.

والجدير بالذكر ان ألقاب المسيح ترتبط بشكل أو بآخر بمضمون الرسالة:

* في الرسالة الأولى، بالمنارة:

«القابض بيمينه الكواكب السبعة الماشي في وسط المنائر السبع الذهبيّة» (٢/١).

«ان لم تتب فإني آتيك وأزيح منارتك من موضعها» (٢/٥).

* في الرسالة الثانية، بالموت والحياة:

«الأول والآخر الذي مات ثم عاد حياً» (٢/٨).

«كن أميناً حتى الموت وأعطيك إكليل الحياة» (٢/١٠).

* في الرسالة الثالثة، بالسيف:

«صاحب السيف الماضي ذو الحدين» (٢/١٢).

«إذاً تب وإلّا فآتيك عاجلاً واقاتلهم بسيف فمي» (٢/١٦).

* في الرسالة السادسة، بالذي يفتح ويُغلق:

«القدوس، الحق، الذي له مفتاح داود، يفتح فلا يغلق أحد، ويغلق فلا يفتح أحد» (٣/ ٧).

«ها اني جعلت أمامك باباً مفتوحاً لا يقدر أحدٌ أن يغلقه» (٣/ ٩).

ألقاب المسيح تؤكد ما الذي يعمله من أجل كنيسته. إنه يمسك بيمينه الكنائس (٢/ ١) علامة الاهتمام بها. ويسير بينها يتفقّدها دلالة على دوره الفاعل فيها. نحن أمام المسيح الذي مات وقام (٢/ ٨) الشاهد الأمين (٣/ ١٤) الحال عليه ملء الروح الذي له الأرواح السبعة (٣/ ١). هو أزلي وعالم بكل شيء، رأس وشعر أبيض... وعينان كشهاب نار (٢/ ١٢). هو كلمة الله الخالقة (٣/ ١٤). ديّان العالم كله، يخرج من فمه سيف ذو حدين (٢/ ١٢).

٣ ـ حكم المسيح على الكنيسة: «اني أعرف...» (٢/ ٢، ٩، ١٣، ١٩؛ ٣/ ١، ٨، ١٥).

يقوم المسيح بفحص ضمير للكنيسة. فهو يعرف كل شيء، الأمور الإيجابيّة والأمور السلبيّة. التهاني أو التوبيخات تتعلّق بموقف الكنيسة من الأخطار التي تهدّدها. لا يأتي الخطر من خارج الكنيسة فقط بل أيضاً من داخلها. فالشيطان يتخفّى وراء سماتٍ مسيحيّة في ظاهرها. المجابهة بين الله وبينه تقع داخل الجماعة نفسها.

تتوزّع الكنائس إلى ٤ فئات:

١ ـ كنائس وقعت ضحيّة الهرطقة: سميرنة (٢/ ٩) وفيلادلفية (٣/ ٩).

٢ ـ كنائس انتصرت على الهرطقة: أفسس (٢/ ٢).

٣ ـ كنائس قبلت بالهرطقة: برغامس (٢/ ١٤ ـ ١٥) وطياطيرة (٢/ ٢٠).

٤ ـ كنائس غرقت في الهرطقة: ساردس (٣/ ١ ـ ٢) واللاذقية (٣/ ١٦ ـ ١٧).

ما هي هذه الهرطقة؟

تتكلّم الرسائل عن فئتين:

ـ فئة النيقولاويين في أفسس وبرغامس (٢/ ٦، ١٥) وهي قريبة من جماعة بلعام في برغامس (٢/ ١٤) وجماعة طياطيرة (٢/ ٢٠ ـ ٢٢) وهي جماعة من الغنوصيين، فصلت بين الديانة والحياة. وميّزت بينها ونادت بأن لا أثر للدين في الحياة.

ـ والفئة الثانية ترتبط بالعالم اليهوديّ، واسمها مجمع الشيطان في سميرنة (٢/ ٩) وفي فيلادلفية (٣/ ٩).

والفئتان هما من صنع الشيطان واختراعه (٢/ ٩، ١٣، ٢٤؛ ٣/ ٩).

٤ ـ ارشاد خاص

المسيح بعد حكمه على الكنيسة يتوجّه إليها بإرشاد خاص، ينصح ويعظ. فيلجأ إلى صيغة الأمر في الأفعال:

١ ـ تذكّر... وتب... واعمل (٢/ ٥)
٢ ـ لا تخف (٢/ ١٠).
٣ ـ تب (٢/ ١٦).
٤ ـ تمسّكوا بما لديكم (٢/ ٢٥).
٥ ـ تذكّر... واحفظ... وتب (٣/ ٢).
٦ ـ تمسّك بما لديك (٣/ ١١).
٧ ـ فكن غيوراً وتب (٣/ ١٩).

يشجّع المسيح الكنائس على الأمانة والتوبة: «تذكّر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى» (٢/ ٥).

ويرفقه أحياناً بتهديد: «وإن لم تتب فإني آتيك وأزيح منارتك من موضعها» (٢/ ٥).

٥ ـ إرشاد عام: «من له أذنان فليسمع ما يقول الروح للكنائس» (٢/ ٧، ١١، ١٧، ٢٩؛ ٣/ ٦، ١٣، ٢٢).

بعد أن توجّه المسيح إلى الكنيسة المحليّة وخاطبها، فهنّأها وأنّبها ودعاها إلى

الامانة والتوبة، يوجّه نداءً وإرشاداً إلى الكنيسة جمعاء انطلاقاً من وضع الكنيسة المحليّة. فما يقال لكنيسة، يهمّ الكنيسة كلّها. «من له أذنان»: هذا يعني إذا أردنا أن نعرف ونفهم، علينا أن نفكّر ملياً ونستنير بالروح.

يكلّمنا المسيح في بداية الرسالة ويكلّمنا الروح في نهايتها. يقول الروح القدس للكنائس القول نفسه الذي يقوله الربّ يسوع في كل رسالة. لا فصل بين عمل الروح القدس في الكنيسة وعمل المسيح عينه.

٦ ـ الوعد للظافر: «الظافر...» (٢/٧، ١١، ١٧، ٢٦؛ ٣/٥، ١٢، ٢١).

يعد المسيح الظافر بخيور سماويّة نهائيّة تنتمي إلى العالم الجديد. هذه الوعود هي بحد ذاتها تشجيع على التوبة. فالمسيح لا يكتفي بالتهديد والتوبيخ، ولكنه ينادي الانسان ويستنهضه ليعيش وفق مشيئة الله. فهو يعد الظافر:

* في الرسالة الأولى: «أعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في فردوس الله» (٢/٧). يعده بالعودة إلى الحياة الخالدة في جنة عدن.

* في الرسالة الثانية: «لن يؤذيه الموت الثاني» (٢/١١)، أي الموت النهائي والهلاك الأبدي بالنسبة إلى الموت الطبيعي.

* وفي الرسالة الثالثة: «أعطيه المن الخفي، وحصاة بيضاء وعلى الحصاة اسم جديد مكتوب، لا يعرفه أحد إلا الآخذ» (٢/١٧). فيها إشارة إلى الافخارستيا وهو غذاء نهيوي، يمنح الحياة الأبديّة وفيها إشارة إلى المعموديّة.

* وفي الرسالة الرابعة: «أوليه سلطاناً على الأمم... وأعطيه كوكب الصبح» (٢/٢٦، ٢٨). يشارك المسيح في سلطانه فيدين الأمم، ويشاركه في مجده، مجد القيامة.

* وفي الرسالة الخامسة: «يلبس ثياباً بيضاً، ولن أمحو اسمه من كتاب الحياة» (٣/٥). تدل على الانتصار المرتبط بالمعموديّة وقيامة الربّ. ويعتبره مواطناً في ملكوت الله.

* وفي الرسالة السادسة: «اجعله عموداً في هيكل إلهي... واكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة... واكتب اسمي الجديد» (٣/١٢). علاقة الشركة مع الله.

* وفي الرسالة السابعة: «أعطيه أن يجلس معي على عرشي» (٣/٢١). يشارك يسوع في مجده الإلهي.

لا بدّ، بعد هذا العرض المفصّل حول هيكليّة الرسائل، من التنويه إلى أمرين:

الأول: هو ان العناصر الأربعة الأولى في هيكليّة الرسائل تحافظ على الترتيب نفسه. ويتبدّل العنصران الأخيران في الرسائل الأربعة الأخيرة من حيث الترتيب فيما بينهما. كما ان الحديث في العناصر الأربعة الأولى جرى بشكل مباشر في صيغة المخاطب (أنت) وأخذ صيغة الغائب في العنصرين الأخيرين: «من له أذنان فليسمع، الظافر اعطيه». بالمقارنة مع هيكليّة لوائح التوبة في العهد القديم نجد أنها تكتفي بالعناصر الأربعة الأولى. هذا يعني ان فعل الأمر الذي يصدره المسيح يميل إلى تحقيق مضمونه. بعدها تصبح الكنيسة المجدّدة في آن واحد، قادرة على السماع وتفسير رسالة الروح إلى كلّ الكنائس، وقادرة أيضاً على المساهمة في انتصار المسيح.

والأمر الثاني، هو أن الرسائل السبع تتمحور حول كنيسة طياطيرة وهي الرابعة، وتتوازى فيما بينها: كنائس الأعداد المفردة ١ و٣؛ ٥ و٧، حكم المسيح عليها سلبيّ. وتتلقى أمراً بالتوبة وفيها تصعيد في المواقف يصل إلى أقصاه في كنيسة اللاذقية. بينما كنائس الأعداد الزوجية ٢ و٦، حكم المسيح عليها إيجابي. فلا تتلقى أمراً بالتوبة وفيها حالة من الامانة.

يبقى وضع كنيسة طياطيرة الفريد. فمع انها أقلّ أهميّة من سائر الكنائس ميّزها يوحنا وجعلها محوراً. فنصّ الرسالة هو الأطول، ١٢ آية بالنسبة إلى ٦ أو ٧ آيات في سائر الكنائس. والتعابير الإيجابيّة التي تصفها كثيرة: «اني أعرف أعمالك ومحبّتك، وإيمانك وخدمتك، وثباتك، وأعمالك الأخيرة إنها أكثر من الأولى» (٢/١٩). ولقب يسوع فيها هو «إبن الله» (٢/٨) وهو فريد كتاب الرؤيا، وينوه إليه في خاتمة الرسالة «كما تلقيت أنا من أبي» (٢/٢٨). كذلك التعبير «جميع

الكنائس» (٢/٢٣) هو فريد الرؤيا. مضمون الوعد «أوليه سلطاناً على الأمم» (٢/٢٦)، فيه انفتاح على الأمم ومشاركة في سلطان المسيح بينما في سائر الرسائل له قيمة فرديّة.

نخلص إلى القول، ان يوحنا يجعل من كنيسة طياطيرة كنيسة نموذجيّة. رسالتها ذات قيمة شموليّة:

- تختصر أعمالها الحياة المسيحيّة.
- يقودنا لقب المسيح إلى قمّة العهد الجديد.
- يشارك الظافر المسيح بالسيادة ودينونة الأمم.

الرسائل مختصر العهد القديم.

نجد في هذين الفصلين تلميحاً إلى تاريخ الخلاص في العهد القديم واختصاراً له كما ورد من سفر التكوين حتى العهد الجديد.

* ففي كنيسة أفسس: الوعد للظافر يعود إلى «شجرة الحياة التي في فردوس الله» (٢/٧). والحكم يتكلّم عن السقطة وعن الحبّ الأول. وهذا يذكّر بآدم وحواء في الفردوس، وبالسقطة.

* وضع كنيسة ازمير موصوف بعبارات «الضيق والفقر» (٢/٩). كوضع الشعب اليهوديّ في مصر (تث ٢٦/٧) كما ان «ضيق ١٠ أيام» (٢/١٠) هو إشارة إلى ضربات مصر العشر.

* كنيسة برغامس تُذكّر بأيام الصحراء في سيناء، لأن النصّ يتكلّم عن المنّ الخفي (٢/١٧). وشخص بلعام يذكره كتاب العدد (٢٢ ـ ٢٤).

* كنيسة طياطيرة تُذكّر بزمن الملكية، فالاستشهاد بالمزمور الثاني المسيحاني يدلّ على داود الملك. وذكر إيزابيل واضح ويُذكّر بامرأة آحاب الملك.

* كنيسة سرديس: جاء فيها «عدد قليل من ناس ما دنّسوا أثوابهم» (٣/٤) يذكر بالبقية التي تكلّم عنها الأنبياء زمن السبي.

* كنيسة فيلادلفيا: يتكلّم الوعد للظافر عن عامود الهيكل (٣/ ٤) وأورشليم الجديدة (٣/ ١٢). نحن في زمن بناء الهيكل والعودة من السبي.

* كنيسة اللاذقية: الحكم القاسي على هذه الكنيسة، يعود بالبعض إلى أيام المكابيين وبالبعض الآخر إلى اليهوديّة التي عليها ان تأخذ موقفاً من المسيح.

الرسائل إلى الكنائس السبع يقدّمها يوحنا مثالاً ونموذجاً. فهي من جهة نبوءة تنادي وتدعو الكنائس المعاصرة ليوحنا وتحتفظ بالدعوة ذاتها للكنائس الآتية. ومن جهة ثانية تعبّر عن وعي الكنيسة الأولى لعيشها مراحل الخلاص الكبرى في العهد القديم، التي تحقّقت في قيامة الربّ يسوع.

خاتمة

البعد المسيحاني

في الرسائل إلى الكنائس السبع، يقدّم لنا يوحنا مسيح الفصح المجيد في موته وقيامته، مسيحاً حاضراً في كنيسته وسيداً عليها. يعرفها تمام المعرفة، يهنّئها، يشجعها، يوبّخها، ويدعوها إلى التوبة والامانة. ويعدها أن يشاركها انتصاره. المسيح هو «كلمة الله» يوجّه كلامه إلى الكنائس على الطريقة النبوية. وهو مساو لله، فله صفات الله في العهد القديم: القدوس، الأمين، الأول والآخر، الحي...

البعد الليتورجي

يلعب مجيء المسيح دوراً هاماً (إذ يذكره ٦ مرات). وما الليتورجيّة إلّا التعبير عن هذا الرجاء. كما ان موضوع الخليقة الجديدة، والثوب الأبيض، وإكليل الحياة، والمن الخفي، تشير كلها إلى العماد والافخارستيا.

المشاكل والتحديّات

تواجه الكنائس معضلتين كبيرتين: العلاقة مع اليهود وعبادة الامبراطور الروماني وما تأتّى عنها من محن واضطهادات، واستشهاد. كما ان المساومة والتساهل في العادات الوثنيّة والغنوصيّة تهدّد الجماعات المسيحيّة. كلام المسيح إلى

الكنيسة لا يتبدّل اليوم وغداً مهما كانت المشكلة: فهو يدعو كنيسته إلى التوبة، والعودة إلى متطلبات حياة الإنجيل، إلى المحبّة الأولى.

الخيور

بفضل المسيح القائم من الموت، يحصل الظافر على الوعود المنتظرة. الحصول على شجرة الحياة والمن الخفيّ أصبح ممكناً لمن يتبع المسيح في سرّ موته وقيامته.

هذه هي البشارة السّارة التي حملتها الرسائل إلى الكنيسة، التي تتساءل حول المحن، وعودة الربّ يسوع. علينا معرفة الاصغاء إلى هذه البشارة مستنيرين بالهامات الروح القدس.

«من له أذنان فليسمع ما يقول الروح للكنائس».

من له أذنان فليسمع ما يقول الروح لكنائسنا في هذا الشرق الكريم.

«ها أني واقف على الباب أقرع» (٣/ ٢٠).